مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2021 المجلد: 04 العدد: 02 عدد خاص ص.ص: 220-234

عشبة الحناء ومكانتها في الثقافة الشعبية الأوراسية

The henna herb and its place in Aures popular culture

مسيكة مرادي[1*]، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة باتنة1، (الجزائر)،
massika.merradi@univ-batna.dz
كمال بوقرة[2]، جامعة باتنة1، (الجزائر)، Kamel.bouguerra@univ-batna.dz
بايو صالح[3]، جامعة باتنة1، (الجزائر)، salah.bayou@univ-batna.dz

تاريخ إرسال المقال: 16-08-2021 تاريخ قبول المقال: 16-10-2021

الملخص:

تم التطرق في هذا المقال الى موضوع عشبة الحناء ومكانتها في الثقافة الشعبية الأوراسية، والذي نسعى فيه الى محاولة معرفة بعض استعمالات ووظائف هذه العشبة ومكانتها في مختلف جوانب الحياة اليومية للأفراد والعائلات في هذه المنطقة، فهي من الأعشاب المتداولة منذ القديم في العديد من الحضارات والثقافات والتي لا يمكن أن تستغني عنها أي عائلة في المجتمع. قمنا بداية بالتطرق الى أهم المفاهيم المتعلقة بالموضوع، ثم التعرف على موقع منطقة الأوراس، بعدها التطرق لأسطورة عشبة الحناء، ثم التعرف على مختلف الاستعمالات والوظائف لعشبة الحناء ومكانتها في الثقافة الشعبية بمنطقة الأوراس.

الكلمات المفتاحية: عشبة الحناء، الثقافة الشعبية، الأوراس.

Abstract:

The subject of henna herb and its place in Aures popular culture, in which we seek to learn about some of the uses and functions of this herb and its place in various aspects of the daily life of individuals and families in Aures, is a herb that has been in circulation since the old days in many cultures. We first touched on the most important concepts on the subject, then on the location of the Aures, then on the legend of the henna herb, and then on the various uses and functions of the henna herb and its place in the popular culture of the Aures.

Key words : Henna herb, Popular culture, Aures.

* مسيكة مرادي.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883
السنة: 2021 المجلد: 04 العدد: 02 عدد خاص ص.ص: 220-234

مقدمة:

تعبر الثقافة الشعبية عن ثقافة مجتمع معين وتشكل المخزون التراثي له، فهي تراث متكون من عناصر مادية ومعنوية يتناقلها أو يتوارثها الأفراد جيلا بعد جيل مرورا بفترات زمنية مختلفة. فالثقافة الشعبية الأوراسية بدورها تعبر عن ثقافة مجتمع الأوراس وما تحمله من مختلف العناصر التراثية من عادات وتقاليد، معتقدات وطقوس، احتفالات ومناسبات، أفكار وسلوكيات وغيرها، كما نجد حياة الأوراسيين منذ القديم الى يومنا هذا لا تخلو من ارتباطها بالطبيعة واستعمال كل ما هو موجود فيها من مواد وأعشاب في مختلف الممارسات اليومية المتعلقة بحياتهم وصحتهم وفرحهم أو حتى حزنهم وآلامهم.

فالأوراس تعتبر منطقة من المناطق الجزائرية الجبلية والغنية بمختلف الأعشاب والنباتات، وهي من المناطق المعروفة منذ القديم باستعمال الأعشاب في حياتها اليومية سواء في التزيين أو العلاج أو في مناسبات واحتفالات أو عادات وتقاليد أهل المنطقة، أو حتى ممارستها في طقوس سحرية، فهم كانوا يرون الأعشاب ذات أهمية كبيرة في حياتهم، ولها علاقة وطيدة بثقافتهم وتبقى جزء من تراثهم، يستعملونها للوصول الى غايتهم مهما اختلفت طرق استعمالها، ومن هذه الأعشاب المتداولة بشكل كبير لدى العائلات الأوراسية عشبة الحناء.

تعتبر عشبة الحناء من الأعشاب المستعملة بكثرة في المجتمع الأوراسي والتي بقيت متداولة من القديم إلى يومنا هذا، ولها مكانة كبيرة وقيمة بالنسبة لمختلف العناصر الثقافية الشعبية من مناسبات وأفراح، طقوس ومعتقدات، العلاج وحتى السحر والأمور الغيبية أو الموت، كما له بروز كبير في مجال الجمال والتزيين. ونجد له صلة وطيدة بالعادات والتقاليد وتراث المنطقة فهو حاضر تقريبا في كل الأمور التي يقوم بها الأوراسيين، خاصة المرأة فهي تستعمله للتعبير عن فرحها وجمالها، أو في العلاج من المرض أو الوقاية منه والتصدي لأمور سحرية للحفاظ على صحتها وسعادتها وحياتها. ففي هذا المقال سوف نتحدث عن موضوع دراستنا انطلاقا من الإشكالية التالية: ما المكانة التي تحملها عشبة الحناء ضمن الثقافة الشعبية الأوراسية؟ وفيما تستعمل هذه العشبة؟

يهدف هذا الموضوع إلى التعرف على عشبة الحناء وأسطورتها، ومعرفة مكانتها في الثقافة الشعبية بمنطقة الأوراس، وكذا التعرف على العناصر الثقافية أو التراثية التي يدخل فيها استعمال هذه العشبة. ولدارسته اتبعنا منهج الوصف حيث قمنا بوصف موضوع الدراسة ومحاولة الوقوف على عوامله وتحديد خصائصه، وكذا المنهج الوظيفي وذلك بمحاولة معرفة وظيفة عشبة الحناء في الحياة اليومية بالنسبة لمجتمع الدراسة.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2021 المجلد: 04 العدد: 02 عدد خاص ص.ص: 220-234

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي

المطلب الأول: تحديد المفاهيم

يتم في هذا المبحث التطرق الى تعريف بعض المفاهيم المتعلقة بموضوع دراستنا، حيث بدأنا:

أولا: مفهوم الحناء

تم التطرق لمفهوم الحناء على أنها: "كلمة وردت في معاجم اللغة العربية للإشارة إلى شجر ورقه كورق الرمان وعيدانه كعيدانه له زهر أبيض كالعناقيد، يتخذ من ورقه خضاب أحمر، ونقصد بالحناء أو تحنأ أي تخضب". كما عرفت الحناء على أنها "مسحوق لنبات عشبي من شجرة متساقطة الأوراق من موسم لآخر، يصل علوها أحيانا إلى سبعة أمتار، موطنها الأصلي مصر القديمة وبلاد الفرس وتحتوي على المادة القابضة المعروفة باسم (التانين) وأوراق نباتها تشبه في شكلها أوراق الزيتون ولكنها أكثر منها طولا ويبلغ طول الورقة 3,2سم وعرضها 2,1سم وتسحق أوراقها وتعجن بإضافة بعض المواد الملونة لها وتستخدم... للأيدي والأرجل والشعر وهي من النباتات ذات الرائحة المميزة"[1].

وعرفت أيضا بأنها: "مادة تلوينية قديمة عرفت تاريخيا عند الفراعنة بهذا الاسم، وقد شاع استعمالها في العصر الجاهلي عند العرب، والعصر الإسلامي أيضا، وساعد على انتشارها نشاط التجار العرب الذين كانوا يستوردونها من بلاد الهند على شكل صبغة نباتية، ذات لون أحمر أو أسود"[2]. فهي شجرة طويلة رفيعة، أوراقها ناعمة، يقال عنها أنها من نباتات الجنة، ومن يحرقها فهو اقترف ذنبا وإثما، فهي ليست كبقية الأشجار فهي شجرة مباركة لها صلة وثيقة بالأفراح والمناسبات وتوحي بالفأل الحسن[3]، أو أنها نبتت بعد أول دمعة سقطت من عين حواء على الأرض بعد نزولها من الجنة وأنها تمتاز برائحة عطرية مميزة[4].

---

[1] السيد عبد المؤمن السيد، الزيات علا عبد المنعم، رموز الحناء بين التقليدية والمعاصرة –دراسة اثنوجرافية بإحدى المدن الليبية–، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، عدد يوليو، 2008، ص19.

[2] عمران كامل، دياب عز الدين، سليمان خرما إيفا، الحنة: وظائفها وطقوسها الاجتماعية (دراسة أنثروبولوجية في قرية بللوران الساحلية)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية –سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية–، المجلد 33، العدد 01، 2011، ص171.

[3] الغرابي الجيلالي، في الأساطير الشعبية: أسطورة شجيرة حناء وقمر أنموذجا، https://www.folkculturebh.org/ar/index.php?issue=18&page=showarticle&id=328، 2021/07/24.

[4] السيد عبد المؤمن السيد، الزيات علا عبد المنعم، المرجع السابق، ص76.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2021 المجلد: 04 العدد: 02 عدد خاص ص.ص: 220-234

ثانيا: مفهوم الثقافة

يعرف **تايلور** الثقافة بقوله: "هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع". ويرى **إليوت** أن "الثقافة هي طريقة الحياة في المجتمع". ويرى **أبو زيد** أن من خصائص الثقافة هي خاصية الاستمرار. وبالتالي، فالثقافة مفهوم مرتبط بالمجتمع، يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا فيه، والاكتساب من المجتمع عملية مستمرة لا نهاية لها ولا توقف[5].

وعرفها **راد كليف براون**" :هي العملية التي يكتسب من خلالها الفرد المعرفة والمهارة والأفكار والمعتقدات والأذواق والعواطف وذلك عن طريق الاتصال بأفراد آخرين أو من خلال أشياء أخرى كما أنه يكتسب الأعمال الفنية"[6]، كما عرفها مالينوفسكي حيث قال أن: "الثقافة تشمل المهارات الموروثة والاشياء والأساليب أو العمليات الفنية، والأفكار والعادات والقيم"[7].

ويقول "**كروبر**" بأنه: "يمكن للعالم أن يرى الأشياء والأشخاص وتفاعلاتهم وأفعالهم لكن لا يمكن لأحد منهم أن يرى الثقافة"، فالثقافة –حسبه– شيء يحس به العقل على اعتبارها مجردة مصاغة في سلسلة متناسقة من الأحكام والأفكار والمعتقدات، تكون هذه الأخيرة من مختلف النشاطات والسلوكيات والأشخاص، فالعالم يرى هذه الأخيرة، يحكم في شأنها وهذا الحكم المكون عنها هو ما يقصد بالثقافة[8].

يمكن القول هنا إن الثقافة هي مجموع العادات والتقاليد والأفكار والمعتقدات والقيم الإنسانية المتوارثة عبر الأجيال والتي تميز مجتمع معين وتبين طريقة حياتهم وتبقى مستمرة من زمن لآخر يتناقلها الأفراد من بعضهم البعض ويكتسبونها عن أجدادهم لحفظها وصونها.

ثالثا: مفهوم الثقافة الشعبية

عرفت الثقافة الشعبية على أنها: "الثقافة العادية لأناس عاديين وتتشكل تبعا للواقع اليومي ومن خلال النشاطات العادية المتجددة كل يوم"، فهي "تشمل مختلف انجازات الإنسان التي من خلالها يستطيع

---

[5] ناصر نجاة، ثقافة العلاج الشعبي –دراسة ميدانية بمنطقة تلمسان–، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 33، 2018، ص02.

[6] بن زغادي محمد، دور المعالم الأثرية في إرساء التنمية بالجزائر، جامعة تلمسان، ص04.

[7] سعيداني ياسين، اهمال الآثار في المجتمع الجزائري –مدينة تبسة أنموذجا–، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر "ل.م.د"، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي– تبسة، 2016، ص21.

[8] راشدي وردية، تمثلات الثقافة الشعبية الأمازيغية في الإنتاج السينمائي الجزائري دراسة تحليلية سيميولوجية لفيلمي: "جبل باية" و"الربوة المنسية"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر3، 2011–2012، ص51.

التعبير عن حياته، ومختلف الأساليب التي ينتهجها في التفكير، العمل والسلوك، لا سيما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كونها خلاصة تفاعله مع الطبيعة، من جهة، ومع غيره من البشر من جهة أخرى، ولا يتم هذا إلا في إطار ثقافي محدد ترتضيه الجماعة الاجتماعية"[9].

كما عرفت على أنها: "مجموع مخزون الأجيال السابقة من عادات وتقاليد وأعراف ومعارف، تعبر عن خبرة الجماعة البشرية التي أنتجتها، وعاشت في أوساطها، لذا نقول ثقافة شعبية كونها منتوج العامة من الشعب وهي ابداع جماعي تشترك الكثير من السواعد، الأفواه العقول والملكات في وضع لبناتها ولها آلياتها ووسائلها..."[10].

مما سبق يمكن القول إن الثقافة الشعبية الأوراسية هي ثقافة شعب عريق سكن منطقة الأوراس منذ عصور، وقد مرت بفترات زمنية مختلفة، بقيت متوارثة من جيل الى جيل، وشملت مختلف العناصر من أفكار ومعتقدات، ممارسات وطقوس، مناسبات وعادات وتقاليد، الأعراف والمعارف والخبرات وغيرها من العناصر الثقافية التي بقيت إلى يومنا هذا مميزة لهذه المنطقة دون غيرها.

المطلب الثاني: منطقة الأوراس

تقع منطقة الأوراس في الشرق الجزائري وتشتمل على ولايات كل من باتنة، خنشلة، أم البواقي وتبسة، وهي تتمثل في مجموعة الجبال الممتدة من جبل بوطالب والحضنة الشرقية غربا حتى حدود تونس شرقا، ومن وراء بسكرة جنوبا حتى حدود قسنطينة شمالا، والأوراس عبارة عن كتلة جبلية ذات تضاريس متنوعة ومعقدة وهي عبارة عن همزة وصل بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي. وتشكل هذه الجبال في وضعها الطبيعي شكلا رباعيا، يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي 100كلم، ومن الشرق إلى الغرب حوالي 80كلم[11].

تظهر مرتفعات جبال الأوراس من جديد في الجنوب الشرقي من مدينة باتنة، المتمثلة في جبل (إيش ن علي) وقمة (قدلان)، وتخترق هذه المرتفعات بعض الأودية، التي تنحدر نحو الشمال الشرقي،

[9] المرجع نفسه، ص57.

[10] آيت قاسي ذهبية، الثقافة الشعبية في البرامج الثقافية الناطقة بالأمازيغية في التلفزيون الجزائري (القناة الرابعة) –دراسة وصفية تحليلية لبرنامج "تويزا"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، المدرسة الدكتورالية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة وهران، 2009–2010، ص44.

[11] أمزيان وناس، الانصهار الثقافي الأمازيغي العربي في منطقة الأوراس وتأثيره في هوية السكان، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، ص453.

مثل وادي القرزي الذي يخترق باتنة ليصب في سهول عين القصر (المعذر) ونجد بعض هذه الأودية تتجه نحو الجنوب الغربي كوادي (بني فضالة) ومنخفض (وادي عبدي) الذي ينبع من جبل المحمل، متجها نحو الجنوب الغربي، أما منخفض الوادي الأبيض، ينبع من مرتفعات شليا في اتجاه الجنوب الغربي، ويجري بين سلسلتين جبليتين، الجبل الأزرق في الغرب، وجبل أحمر خدو في الشرق، ثم يصب في سد الخرزة قرب شتمة بولاية بسكرة.

تمتد مرتفعات جبال الأوراس، من الجهة الشرقية لمرتفعات جبال الحضنة غربا إلى مرتفعات الشلعلع، وتتصف بالانحدار التدريجي نحو السهول العليا شمالا، ويحدها من الجنوب منخفض (تيميزواغ) و(كاسرو) و(بلزمة) وتتشكل هذه المرتفعات من جبل وستيلي، وقمة الرفاعة، وجبل الشلعلع وجبل مستاوة، وتترك هذه الجبال فيما بينها سهولا، مثل سهل بلزمة وزانة ومنخفض واد الشعير[12].

المطلب الثالث: أسطورة عشبة الحناء

هناك عدة أساطير تحكي عن هذه العشبة ولماذا أصبحت تستعمل بشكل كبير في مختلف الحضارات والثقافات والمجتمعات، فهناك من يقول إنها مرتبطة بأسطورة تحكي عن "ليلة الحناء" والذي يعتبر مصطلح لا يزال مستعمل في مختلف المجتمعات، حيث يعود ذلك الى عهد الآلهة إيزيس وأوزوريس عندما عمد إله الشر "ست" إلى قتل أوزوريس طمعا في ملكه ومزق جسده الى 14 قطعة وقسمها على أقاليم مصر[13]، وهناك من يقول قطعه الى 42 قطعة[14].

فجمعت زوجته إيزيس أشلاءه من كل أنحاء مصر، فكانت كلما جمعت قطعة امتلأت يدها بالدماء، وعندما انتهت من جمع كل الأشلاء كانت يدها قد صبغت باللون الأحمر، فاعتبر المصريون القدماء هذا رمزا لوفاء الزوجة، ومنها حرصت الفتيات على تلوين أيديهن قبل الزفاف رمزا للوفاء. وهناك البعض من يقول إن أسطورة عشبة الحناء تعود الى "أنس وبال" حيث أن أنس هي آلهة الخصوبة والحرب، كانت ترسم يديها بالحناء قبل دخول أي معركة[15].

---

[12] مطمر محمد العيد، ثورة نوفمبر 54 في الجزائر (1954-1962) (أوراس-النمامشة) أو فاتحة النار، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص13-14.

[13] بن شريط فاطنة مجيدة، لطرشي الطيب، دلالة الحناء في المعتقدات الشعبية لأهل مدينة الجلفة، مجلة آفاق للعلوم، المجلد 06، العدد 03، 2021، ص217.

[14] قائد البناء بسمة، ليلة الحناء... موروث العادات ووحي الأساطير، https://www.folkculturebh.org/ar/index.php?issue=26&page=showarticle&id=481، 2021/07/26.

[15] بن شريط فاطنة مجيدة، لطرشي الطيب، المرجع السابق.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883
السنة: 2021 المجلد: 04 العدد: 02 عدد خاص ص.ص: 220-234

وهناك من يقول إن شجرة الحناء كانت قديما كبيرة تمتد عروقها في الأرض، أغصانها عالية في السماء، أوراقها متسعة تبلغ راحة اليد أو تتجاوزها، وكانت النساء ينقشن رسمها على اليد اليسرى لدفع العين وكل أنواع الشرور. لكن بعد ذلك كثر الشر وأصبح منتشر بشكل أكبر من قبل، وأصبح رسم شجرة الحناء في اليد لا تكفي وحدها لدفع هذا الشر.

فأشار الصالحين إلى رسم القمر وسط راحة اليد باعتقاد أنه غيور على كل ما هو جميل، ورسم شجرة الحناء في مرتفع اليد جهة البنصر وجعل فروعها تمتد حتى نهايته. لكن الشجرة رأت أنها مضايقة من طرف القمر، ومتهمة من طرف الصالحين بأنه لم يعد تأثيرها فعال، فانكمشت وأصبحت صغيرة الحجم مثل ما هي عليه اليوم، ومنذ ذلك الوقت أصبحت بحاجة الى القمر لكي تدفع وتطرد السر والبلاء عن الجميلات[16].

المبحث الثاني: استعمال عشبة الحناء في الثقافة الشعبية الأوراسية

تعتبر الثقافة الأوراسية ثقافة شعبية عريقة متنوعة ومختلفة باختلاف مناطقها، فهي تتكون من عناصر تبين تراث هذا الشعب المتميز عن غيره من عادات وتقاليد، طقوس، معتقدات وممارسات علاجية مختلفة، حيث نجد عشبة الحناء حاضرة في مثل هذه العناصر التراثية باعتبارها عشبة ذات أهمية وقيمة كبيرة في حياتهم اليومية.

تحتل عشبة الحناء مكانة مميزة لدى عائلات المنطقة، ولها علاقة وطيدة بثقافتهم، خاصة المرأة فهي تعتبره أهم عنصر لا يمكن أن تستغني عنه، تستعمل الحناء في مختلف جوانب حياتها سواء في حالة الخطوبة، الزواج، الولادة، المناسبات الأخرى وفي العلاج أيضا، كما أن الرجال يستعملونه ولكن بنسبة أقل من استعماله لدى المرأة.

المطلب الأول: عشبة الحناء والأفراح

يملك سكان منطقة الأوراس كباقي المناطق الجزائرية بعض المعتقدات والممارسات الثقافية الشعبية التي نجدها حاضرة في مختلف أفراحها ومناسباتها (الزواج، الختان...) والتي تستعمل فيها بعض الأعشاب وذلك كل حسب اعتقاده على عشبة معينة، خاصة عشبة الحناء التي تستعمل بكثرة في مثل هذه المناسبات ولا يخلو أي بيت أوراسي منها.

ففي حفلة الزواج يقومون بوضع الحناء للعروس والتي تسمى بليلة الحناء، حيث تخضب أيديها

[16] الغرابي الجيلالي، المرجع السابق.

وأرجلها ومناطق أخرى من جسمها برسوم جميلة لتبدو أكثر تزويقا وجمالا، وكذا تقمن قريباتها وصديقاتها بوضع الحناء معها في هذه الليلة السعيدة[17].

وقالت السيدة فتيحة: "تستعمل عشبة الحناء في الأعراس والمناسبات الأخرى كالأعياد، عاشوراء، المولد النبوي الشريف، فمثلا في العرس يستعملها العروسين، فأما الرجل يضعون له دائرة صغيرة في يده فقط، أما المرأة تضع الحناء ليديها ورجليها"، وتضيف قائلة: "في الأعراس قديما كانوا يضعون الحناء نهارا، سواء العروس أو المدعوات، ويجففونه عند موقد النار، وعندما يجف تنزعه وتغسل يديها ورجليها، فيصبح جميلا ذو لون أحمر جذاب وتذهب مباشرة للعرس"، أما "العروس كانت قديما تضع الحناء مرتين، الأولى بما يسمى بليلة الحناء في بيت أبيها، والثانية عندما يأخذونها الى بيت زوجها، أما الآن تضع مرة واحدة في بيت أبيها"[18].

وأما "عجينة الحناء التي تضع منها العروس تختلف كل حسب عاداته، فهناك من يخلطها بالبيض، وهناك من يخلطها بالحليب حتى تكون حياتها بيضاء وخالية من المشاكل وتحيا مع زوجها في هناء، وهناك من يخلطها بماء الزهر والملح حتى يكون لها حظا سعيدا في حياتها الزوجية، وغيرها مما يضاف إلى الحناء، ولكن قديما كان الغالب فيها أن تمزج بالماء فقط"، وقالت في الأخير أن: "عشبة الحناء تعتبر فأل خير وتجلب الفرح، فهي وجدت خصيصا للأفراح"[19]. كما كانوا في حفلة الختان يجلبون هدية للمختون "أقذيح"، فيه مجموعة من المكسرات والحبوب وبعض النباتات خاصة الحنة، باعتقاد أنها تملك قوة تحمي المختون من الأرواح الشريرة[20].

المطلب الثاني: عشبة الحناء والجمال

كانت المرأة الأوراسية تهتم بشكلها وأناقتها وشعرها، بحيث أنها كانت تستعمل الحناء في صبغ

[17] سيد أحمد عبد الحكيم خليل، التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية، المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبي الفلسطيني "واقع وتحديات"، كلية الفنون الجميلة، جامعة النجاح الوطنية –فلسطين، 6–10 أكتوبر 2012م، ص22.

[18] مقابلة بتاريخ: 2021/07/28، الساعة: 14:15.

[19] المرجع نفسه.

[20] Jemma–Gouzon Danièle, Villages de l'Aurès, archives de pierres, Edition l'Harmattan, Paris, 1989, p174.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883
السنة: 2021 المجلد: 04 العدد: 02 عدد خاص ص.ص: 220-234

شعرها وتزيين حواجبها به، وتطلي يديها وقدميها بخضاب هذه العشبة التي تزيدها بهاء وجمالا[21]، كما يعتبر من أهم الصبغات التي تقوم على إزالة الشيب من الشعر[22].

وهذا ما قالته السيدة فتيحة بأن: "عشبة الحناء لها وظيفة تزيينية، حيث تستعملها النساء للبهاء والجمال، فالمرأة تحرص دائما على أن تظهر في هيئة جميلة سواء في الأوقات العادية أو في المناسبات والأفراح، وتضعها في الليل حتى يكون لونها جذابا ويميل للأسود أو الأحمر الغامق"[23].

المطلب الثالث: عشبة الحناء والولادة

تضع المرأة الحامل الحناء قبل الولادة وهذا باعتقاد أنه فأل حسن وتفاؤل بسرعة الانجاب وسهولته، كما تضعها بعد الولادة فرحا بولادتها بسلامة وكذا بعد مرور أربعين يوما فرحا بشفائها[24]. وقالت السيدة فتيحة أنه من ضمن استعمالات عشبة الحناء أيضا: "تستعمل للنفساء، كما يمكن أن تضعها وهي حامل قبل الولادة بوقت قصير فعندما تلد تكون مزينة بها قبلا"، أما "المولود، يقومون بذر مطحون الحناء على المناطق الحساسة حتى لا يصاب بالالتهابات مع دهنه بزيت الزيتون، ويتم وضعها في النهار والليل"[25].

المطلب الرابع: عشبة الحناء والعلاج

كانت معظم العائلات الأوراسية ولا تزال الي يومنا هذا تلجأ الى استعمال طرق التداوي التقليدية أو كما يسمى "بالطب الشعبي" حيث تستعمل مختلف الأعشاب في العلاج منها عشبة الحناء التي تستعملها بكثرة وترى أن لها مفعول قوي في شفاء المريض أو العضو المصاب، خاصة فيما يتعلق بالكسور والتواء العظام وغيرها من الأمراض، أين كانت تستعمل في جبر الكسور "الجبيرة" من طرف معالج شعبي له خبرة في هذا العلاج، أو تستعمل للرضوض "الشراطة" بمعنى احداث جروح صغيرة في المكان المصاب ثم وضع الحناء المطحونة على تلك الجروح ويتم تغطيتها بقطعة قماش حتى تشفى[26].

---

[21] شويحات موسى، الطقوس الدينية والاحتفالات الاجتماعية بالجزائر العثمانية 1519-1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف-المسيلة، 2018-2019، ص10.

[22] بن شريط فاطنة مجيدة، لطرشي الطيب، المرجع السابق، ص218.

[23] مقابلة، المرجع السابق.

[24] السيد عبد المؤمن السيد، الزيات علا عبد المنعم، المرجع السابق، ص67.

[25] مقابلة، المرجع السابق.

[26] سرقمة عاشور، تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية في الصحراء الكبرى: الصحراء الجزائرية نموذجا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، 2011، ص197-198.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883
السنة: 2021 المجلد: 04 العدد: 02 عدد خاص ص.ص: 220-234

كما تعتبر علاج للصداع وقروح الرأس، تساهم في اصلاح الشعر التالف والمتقصف، تزيل آلام الحيض، تفتت الحصى في الكلى، ولكن لا يجب استعمالها بكثرة فان الإفراط في استعمالها داخليا قد يؤدي إلى أضرار بالحلق والرئتين[27]. وقد كانوا قديما بالأوراس يعالجون الجرح باستعمال عشبة الحناء ويخلط معها القطران، الزيت والماء، يتم غليهم جيدا وعندما يبرد الخليط ينقع فيه ذلك الجرح جيدا، بعدها يغطى بكمادة من القطران والرماد حتى يشفى[28].

وهذا ما قالته السيدة فتيحة بأن: "عشبة الحناء يعالج بها تساقط الشعر، الصداع حيث يتم وضعه كلبخة على الرأس، علاج التهابات اليدين والرجلين"، كما أنه "يستعمل في الجبيرة (أي جبر الكسور أو الالتواءات)، حيث يخلط مع دقيق الشعير، بياض البيض، السمن البلدي (أي السمن العربي القديم)"، أو "تخلط مع حب الرشاد المطحون وتوضع على مكان الألم لجبره" أو "تخلط مع صابون بلدي (أي صابون الطرف) المبشور وزيت الزيتون، وتوضع فوق نار هادئة حتى يذوب الصابون ويصبح خليطا متجانسا ثم يوضع على مكان الألم كجبيرة أو لتخفيف آلام المفاصل والروماتيزم"[29].

المطلب الخامس: عشبة الحناء والموت

وضع الحناء عند وفاة فرد ما سواء من العائلة أو الأقارب أو الجيران غير مستحب، لأن أهل الميت في حالة حزن والحناء دليل على الفرح والسرور وبالتالي يعتبر ذلك السلوك غير لائق وفيه عدم تقدير حزن الأهل وشماتة بميتهم[30].

كما قالت السيدة فتيحة أن: "عشبة الحناء تستعمل قديما للميت، حيث يوضع للأنثى فقط سواء كانت كبيرة أو صغيرة، أما الآن لم يعد يستعمل تقريبا، فقد كانوا يضعونه ليديها ورجليها ثم يغسل، وقد توضع للشعر أيضا ولكن قليل من الناس من يضعها لصعوبة غسل الشعر"، بينما: "أهل الميت فلا يضعون الحناء إلا بعد مرور أربعين يوما، إلا الأرملة فتمتنع عن وضعها حتى تمر فترة العدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام، بعدها تضع الحناء باعتبار أنها تجاوزت فترة الحزن وأصبح عليها العودة الى حياتها

[27] صالحي نعيمة، الطب الشعبي في المجتمع التبسي –التداوي بالأعشاب أنموذجا– مقاربة من منظور الأنثروبولوجيا الطبية، دراسة ميدانية بـ: مراكز ترويج الأعشاب والبعض من المعالجين بالأعشاب، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر " ل.م.د"، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي –تبسة، 2016، ص82.

[28] Gaudry Mathéa, La femme chaouia de l'Aurès, étude de sociologie berbère, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1929, p251.

[29] مقابلة، المرجع السابق.

[30] السيد عبد المؤمن السيد، الزيات علا عبد المنعم، المرجع السابق، ص75.

الطبيعية"[31].

المطلب السادس: عشبة الحناء والطقوس السحرية

ارتبطت عشبة الحناء منذ القديم بعالم السحر، ومحاولة إرضاء قوى الطبيعة بتقديم القرابين للنذور مع تخضيبها بالحناء ذات اللون الأحمر أو الأسود باعتقاد أن له صلة وثيقة بالعالم السفلي والجن. فهناك أسطورة تقول بأنه يجب أن تضع العروس الحناء قبل ذهابها للاغتسال في الحمام العمومي، باعتقاد أن هناك بنت ملك الجن تحرص الحمامات العمومية فيجب وضع الحناء لنيل رضاها قبل دخوله. كما يعتقد الكثير بمفعول الحناء السحري فنجد أهل العروس يقومون بإخفاء إناء الحناء الذي وضعت منه العروس خوفا من وقوعه في أيدي خبيثة وحاسدة فتستعمله في السحر وتسبب ضرر للعروسين[32].

وتقول السيدة فتيحة بأنه: "قديما كانوا يضعون الحناء للعروس وتضع معها باقي الفتيات والنساء اللواتي يردن ذلك، أما الآن أصبح هذا الشيء يشكل خوفا كبيرا لدى أغلبية الناس، فإنهم يخشون أن يؤخذ شيء من حناء العروس ويستعمل في سحر الزوجين والإضرار بهما، وبالتالي أصبحوا يضعون إناء خاص بالعروس فقط وإناء آخر للحناء لمن يريد أن تضع منها لباقي الفتيات والنساء تفاديا لأمور السحر والشعوذة"، ولكن "الآن نجد الكثير من العرائس يضعون الحناء في بيت الاب فقط وهناك من تستغني عنه وذلك خوفا من السحر بسبب الحسد والغيرة من طرف الآخرين"[33].

وهناك طقوس تقوم بها المرأة الأوراسية التي لا تريد الانجاب، حيث تقوم بلعق اصابعها المخضبة بالحنة في ليلة عرسها وابتلاع تلك الحنة، وذلك حسب رغبتها في عدد السنين التي لا تريد أن تنجب فيها، فاذا أرادت عدم الانجاب لمدة عام تقوم بلعق إصبع واحد، وإذا أرادت لمدة عامين تلعق إصبعين وهكذا[34]، ولكن هذه الطريقة قديمة جدا وربما غير معروفة لدى الكثير من النساء.

كما يقال بأنه لا يجب الجلوس بجانب شجيرة الحناء ليلا لأنه مكان للجن فقد تؤذي ذلك الشخص، وهناك بعض المعتقدات تقول بأن للحناء وظيفة علاج الجسم الملبوس خاصة للمرأة المتزوجة التي لها مشاكل مع زوجها. كما أنه يستعمل في أعمال السحر والشعوذة[35]، ويستعمل كبخور للمنزل لطرد العين والحسد والمشاكل بين الزوجين والإخوة، والكثير يعتقد أن الحناء أصلها من الحنين والحب تقرب القلوب

[31] مقابلة، المرجع السابق.

[32] قائد البناء بسمة، المرجع السابق.

[33] مقابلة، المرجع السابق.

[34] Gaudry Mathéa, op.cit. p248.

[35] السيد عبد المؤمن السيد، الزيات علا عبد المنعم، المرجع السابق، ص55.

لبعضها البعض وتزرع المحبة بينهم[36].

حسب رأيي فيما تم طرحه في العناصر السابقة لعشبة الحناء وبعد تحليل وظائفها المتعددة، أعتقد أن استعمالها يعود في كل مرة للأسطورة التي تحكى عنها، وهي سبب تداولها في مختلف المجتمعات والحضارات والثقافات وليس في المجتمع الجزائري فقط، وطريقة استخدامها في منطقة الأوراس لا تختلف عن باقي المناطق حتى وإن وجد الاختلاف سنجد عناصر مشتركة بينها.

ومنطقة الأوراس سكنها شعب يملك ثقافة كباقي الثقافات، ففي العصور القديمة كانوا يعتقدون بوجود الآلهة سواء للخير أو الشر، وأنها هي التي تتحكم في حياتهم ولا يملكون حرية التصرف في أي شيء إلا بالاستعانة بها، وبما أن عشبة الحناء ربطوها بالآلهة فهي مقدسة بالنسبة إليهم واستعمالها في حياتهم سوف يرضي الآلهة وبها يحمون أنفسهم من غضبها، وتصبح أعمالهم مباركة بفضلها.

ففي الأوراس كانوا يعتقدون بوجود إله القمر "أيور" ويقدسونه كثيرا، وهذا الاعتقاد كان كبيرا وبعد دخول الإسلام تناقص الى أن انعدم تماما والكل يؤمن بالله تعالى، ولكن تأثير ذلك الاعتقاد مزال موجود في ثقافة الأوراسيين وفي طريقة استعمال عشبة الحناء، فهي حاضرة في كل مناسباتهم رغم اختلاف سبب وطريقة الاستعمال، وكل فرد يستعملها بما يناسبه وحسب معتقداته.

فهناك من يستعملها بهدف الزينة فقط، ومن يستعملها بهدف العلاج والذي قد يكون بطريقة طبيعية أو بطريقة سحرية والتي تتعلق بقدسية الآلهة، أو بهدف التبرك مثلما يحدث في الأعراس فهم يعتقدون أنها تزرع البركة والمحبة بين الزوجين حسب القول المتداول في المنطقة بأن "الحنة حنينة" فهي تجلب الرحمة والحنان، أما استعمالها للحامل ربما لحمايتها من أي شر ومساعدتها على الولادة السليمة، وبالنسبة للميت ربما لتنزل رحمة الله عليه في قبره.

حتى أن الثقافة الأوراسية تحمل هذا الاعتقاد ليومنا هذا حيث أهل المنطقة لا يقومون بأعمالهم إلا عند بداية الشهر القمري، سواء كان زواج، ختان، خطوبة، علاج وغيرها، فهذا دليل على الاعتقاد القديم بالآلهة والسائد في المنطقة ممارسة فقط أي بطريقة غير مباشرة وغير موجود في أذهانهم، وتبقى عشبة الحناء مرتبطة بهذه الأعمال والمناسبات التي يقومون بها في كل مرة ويعتبرون الليلة المقمرة ليلة مباركة ومن يضع فيها الحناء يحصل على تلك البركة، رغم أن رجال الدين يرفضون استعمالها بحجة أنها غير مذكورة في القرآن وطريقة استعمالها منافية لما أنزله الله تعالى ويدعو الى الاعتقاد بغير الله تعالى بطريقة غير مباشرة.

[36] المرجع نفسه، ص56.

الخاتمة:

تعتبر عشبة الحناء من الأعشاب التي أثرت بشكل كبير على المجتمع الأوراسي والتي بقيت تستعمل منذ زمننا الماضي ليومنا هذا في مختلف جوانب الحياة للأفراد والعائلات، فهي مستمدة من ثقافتهم وتراثهم العريق وممارستها تبقى مميزة ومختلفة عن باقي المجتمعات رغم تداولها في مختلف الثقافات ولكن تحمل خاصية معبرة عن تقاليد وعادات أهل المنطقة.

-**النتائج:** من العناصر التي قدمناها في دراستنا هذه توصلنا الى بعض النتائج، منها:

-عشبة الحناء من الأعشاب التي فرضت نفسها على الأفراد والعائلات بالمجتمع الأوراسي وذلك لتأصله من التراث الثقافي الشعبي، ولها مكانة وقيمة كبيرة لدى أهل المنطقة فهي جزء من تراثهم يجب الحفاظ عليه وتعليمه للأجيال اللاحقة.

-تعتبر عشبة الحناء متعددة الاستعمال والوظائف، حيث نجدها حاضرة في مختلف مناسبات الأفراح كالزواج، الختان، الولادة، العيد وغيرها.

-نجدها وسيلة من وسائل التزيين كرسم أو نقش على الجسم خاصة لدى المرأة لزيادة جمالها.

-تدخل في بعض الوصفات العلاجية والتي بقيت متداولة منذ القديم ليومنا هذا كخبرة مأخوذة من الأجداد يتم الاعتماد عليها في علاج بعض الأمراض أو الوقاية منها.

-كما لها وظيفة سحرية أحيانا حيث تدخل في بعض الطقوس والممارسات السحرية التي يمارسها الأفراد لحماية أنفسهم من الضرر ودفع البلاء والجن والحسد أو قد تمارس كسحر لإصابة الآخرين بالضرر.

-كما أنها تدخل حتى في حالة الوفاة حيث يتم وضع الحناء للميت قبل دفنه وذلك للنساء فقط، وكذا تعبر عن انتهاء الحداد عن الميت.

-**التوصيات المقترحة:** من خلال تطرقنا لهذه الدراسة يمكن أن نقترح بعض التوصيات وهي:

-الحفاظ على استعمال عشبة الحناء كموروث يميز التراث الثقافي الشعبي للأوراس وتعليمه للأفراد والعائلات حتى تبقى ممارسته دائمة وحاضرة في الذاكرة الشعبية.

-محاولة اجراء بحوث عن هذا الموضوع في منطقة الأوراس باعتبارها منطقة ذات نقص في الدراسات والبحوث في مثل هذه المواضيع لاسترجاع أو بالأحرى احياء التراث الضائع أو المفقود.

-البحث لدى نساء المنطقة بالخصوص لجمع مختلف المعارف، الخبرات، الوصفات والمعتقدات التي تتعلق بعشبة الحناء ومحاولة تدوينها حتى لا تبقى في الذاكرة الشفوية فقط وربما تنسى وتفقد بموت أصحابها.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب

مطمر محمد العيد، ثورة نوفمبر 54 في الجزائر (1954-1962) (أوراس-النمامشة) أو فاتحة النار، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

Gaudry Mathéa, La femme chaouia de l'Aurès, étude de sociologie berbère, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1929.

Jemma-Gouzon Danièle, Villages de l'Aurès, archives de pierres, Edition l'Harmattan, Paris, 1989.

ثانيا: الرسائل والمذكرات

آيت قاسي ذهبية، الثقافة الشعبية في البرامج الثقافية الناطقة بالأمازيغية في التلفزيون الجزائري (القناة الرابعة) -دراسة وصفية تحليلية لبرنامج "تويزا"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، المدرسة الدكتورالية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة وهران، 2009-2010.

راشدي وردية، تمثلات الثقافة الشعبية الأمازيغية في الإنتاج السينمائي الجزائري دراسة تحليلية سيميولوجية لفيلمي: "جبل باية" و"الربوة المنسية"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر3، 2011-2012.

سعيداني ياسين، اهمال الآثار في المجتمع الجزائري -مدينة تبسة أنموذجا-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر "ل.م.د"، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي- تبسة، 2016.

شويحات موسى، الطقوس الدينية والاحتفالات الاجتماعية بالجزائر العثمانية 1519-1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف-المسيلة، 2018-2019.

صالحي نعيمة، الطب الشعبي في المجتمع التبسي -التداوي بالأعشاب أنموذجا- مقاربة من منظور الأنثروبولوجيا الطبية، دراسة ميدانية بـ: مراكز ترويج الأعشاب والبعض من المعالجين بالأعشاب، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر " ل.م.د"، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي -تبسة، 2016.

ثالثا: المقالات

أمزيان وناس، الانصهار الثقافي الأمازيغي العربي في منطقة الأوراس وتأثيره في هوية السكان، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية

في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، ص453.

بن زغادي محمد، دور المعالم الأثرية في إرساء التنمية بالجزائر، جامعة تلمسان، ص04.

بن شريط فاطنة مجيدة، لطرشي الطيب، دلالة الحناء في المعتقدات الشعبية لأهل مدينة الجلفة، مجلة آفاق للعلوم، المجلد 06، العدد 03، 2021، ص217.

سرقمة عاشور، تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية في الصحراء الكبرى: الصحراء الجزائرية نموذجا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، 2011، ص197-198.

السيد عبد المؤمن السيد، الزيات علا عبد المنعم، رموز الحناء بين التقليدية والمعاصرة –دراسة اثنوجرافية بإحدى المدن الليبية–، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، عدد يوليو، 2008، ص19.

عمران كامل، دياب عز الدين، سليمان خرما إيفا، الحنة: وظائفها وطقوسها الاجتماعية (دراسة أنثروبولوجية في قرية بللوران الساحلية)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية –سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية–، المجلد 33، العدد 01، 2011، ص171.

ناصر نجاة، ثقافة العلاج الشعبي –دراسة ميدانية بمنطقة تلمسان–، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 33، 2018، ص02.

رابعا: أشغال الملتقيات

سيد أحمد عبد الحكيم خليل، التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية، المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبي الفلسطيني "واقع وتحديات"، كلية الفنون الجميلة، جامعة النجاح الوطنية –فلسطين، 6-10 أكتوبر 2012م، ص22.

خامسا: المواقع الإلكترونية

الغرابي الجيلالي، في الأساطير الشعبية: أسطورة شجيرة حناء وقمر أنموذجا، https://www.folkculturebh.org/ar/index.php?issue=18&page=showarticle&id=32، 8، 2021/07/24.

قائد البناء بسمة، ليلة الحناء...موروث العادات ووحي الأساطير، https://www.folkculturebh.org/ar/index.php?issue=26&page=showarticle&id=48، 1، 2021/07/26.